

الفصل الأول

الحياة السياسية المعاصرة فى العالم الاسلامى بعد سقوط الخلافة العثمانية

لقد مكثت الخلافة العثمانية أكثر من خمسمائة عام تمثل العالم الاسلامى وتحمل لواء الاسلام وتذود عن المقدسات الاسلامية وتحمى الديار وتحفظها وتحارب الغزو الغربى الصليبي وتصد غاراته . فكانت - رغم كل شئ - رمز قوة الاسلام وشوكته حيث امتدت أطرافها حتى شملت آسيا وافريقيا وأوروبا (١) .

وكانت الخلافة العثمانية فى مطلع القرن العشرين لا تزال حقيقة واقعة بل انها كانت كبرى الحقائق فى العالم الاسلامى ولا يتوقع كثير من الناس بأن نهايتها تكون قريبة ، ولكن العوامل والأسباب التى تؤدى الى سقوطها فى الحقيقة كانت تتجمع وتتكاثر والتى كان من شأنها انها بعد بضع سنوات من بدء القرن العشرين أدت الى خلع السلطان عبد الحميد ثم اسقاط الخلافة العثمانية آخر رمز لنظام الخلافة الاسلامية فى العالم (٢) . وعلى أنقاضها قامت دويلات قومية متفرقة فى العالم الاسلامى المعاصر ، وبغياب نظام الخلافة الاسلامية تتوالى المصائب على الأمة الاسلامية واصبح العالم الاسلامى فى اضطراب وعدم الاستقرار . وتحكمه دول وطنية وحكومات قومية تتخذ العلمانية نظاما لها بدلا عن النظام الاسلامى الاصيل .

-
- (١) انظر : نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى ، للدكتور مصطفى حلمى ، دار الأنصار القاهرة ، طبعة أولى ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ باختصار وتصرف .
- (٢) انظر : تبشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ، دار الأنصار القاهرة ، دار الدعوة للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، ص ١٧٣ - ١٧٦ باختصار وتصرف .

وهذا ما سوف نوضحه فى هذا الفصل ونقسمه الى ثلاثة
مباحث هى :

الأول : سقوط الخلافة العثمانية وأسبابها .

الثانى : الدعوات القومية والعلمانية .

الثالث : قيام الدويلات الوطنية على أساس علمانى وقومى جاهلى .

المبحث الأول

سقوط الخلافة العثمانية وأسبابه والاعلان به

كانت الخلافة العثمانية فى مطلع القرن العشرين قد بلغت أشد
مراحل الضعف والانحلال حتى أطلق عليها لقب « الرجل المريض »
وكانت الدول الأوروبية الصليبية قد اتجهت مطامعها الامبريالية الى
اقطار الخلافة العثمانية من العالم الاسلامى . وبدأ اليهود والصليبيون
اعداء الاسلام بث الدعوة القومية بين الأقليات ، وقام المحفل الماسونى
فى تركيا بالدعوة الى القومية التركية لتمزيق وحدة الخلافة العثمانية
واسقاطها (٣) .

وقد تجمعت عوامل داخلية وخارجية تؤدى الى سقوط الخلافة
العثمانية ومنها ما يلى :

● العوامل الداخلية :

١ - استبداد الملوك وجورهم وسوء تربيتهم وفساد أخلاقهم وخيانة
الأمراء وغشهم للأمة واخلاق الشعب الى الدعة والراحة الى غير ذلك

(٣) انظر : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام للشيخ احمد
بشير رئيس جمعية اقامة الاسلام بمدينة مراوى / الفلبين . من البحوث
المقدمة لمؤتمر الفقه الاسلامى الذى عقده جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ طباعة الجامعة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)
ص ٤٦٢ بتصريف .

من أخلاق الأمم المنحطة . وكان شر ما أصيبوا به الجمود فى العلم والجمود فى صناعة الحرب وتنظيم الجيوش . ولم يكن الجمود العلمى والكلال الفكرى مقتصرين على تركيا وأوساطها العلمية والدينية فحسب . بل كان العالم الاسلامى من شرقه الى غربه مصابا بالجدب العلمى ، وشبه شلل فكرى قد أخذه الاعياء والفتور واستولى عليه النعاس (٤) .

٢ - انقلاب جمعية الاتحاد والترقى على السلطان العثمانى . وكانت جمعية الاتحاد والترقى تلعب دورا مهما فى اسقاط الخلافة العثمانية (٥) . وكانت صلتها بالحركة الماسونية العالمية والحركة الصهيونية معروفة . ويقول السلطان عبد الحميد فى رسالته الى الشيخ محمود أبو الشامات بدمشق « اننى لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى اننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى المعروفة باسم « جون تورك » وتهديدهم اضطرتت واجبرت على ترك الخلافة ، ان هؤلاء الاتحاديين قد اصرروا وأصرروا على بان اصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف . واخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية ايضا واجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى : انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين أبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى ايضا . وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وأبلغونى انهم سيعدونى الى « سلانيك » فقبلت بهذا التكليف الاخير . وحمدت

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للسيد أبى الحسن على الحسنى الندوى الناشر دار عمر بن الخطاب الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ص ١٤٨ - ١٥١

(٥) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ص ١٧٦ - ١٧٨ .

المولى وأحمدته أننى لم أقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشء عن تكليفهم بأقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) . وقد كان بعد ذلك ما كان « (٦) » .

هذا هو السلطان عبد الحميد الذى قال لهرتزل والحاخام موسى ليفى : « أن أراضى الوطن لا تباع ، أن البلاد التى امتلكت بالدماء لا تباع الا بالثمن نفسه » .

وخلع السلطان الرجل ، وكان لليهودى الإسلامى الإسبانى إيمانويل قرهصوه من بين أعضاء اللجنة التى أبلغت الخليفة المسلم السلطان عبد الحميد قرار خلعته (٧) .

● العوامل الخارجية :

تتمثل العوامل الخارجية فى المؤتمرات الدولية لتقسيم العالم الإسلامى ومنها ما يلى :

١ - مراسلات « حسين - مكماهون » :

كانت إنجلترا ممثلة لحليفاتها تخشى وقوف العرب مع الأتراك الذين يحثون زعماء العرب على إعلان الجهاد الإسلامى اذا وقعت الحرب بينها وبين الأتراك . ووجدت فى أوائل الحرب العالمية الأولى أنها فى مأزق لو استجاب العرب لدعوة الجهاد الذى نادى به الأتراك . وأحست بضعفها ازاء جيوش المسلمين اذا اتحدوا تحت لواء الإسلام . ورات أنها لا يمكن أن تتفادى هذه الأخطار الا اذا صادقت العرب وعقدت حلفا مع زعمائهم . وكانت اتصالات فى ذلك الوقت بينها وبين الشريف حسين

(٦) نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى للدكتور مصطفى حلمى
ص ٥٤١ - ٥٤٢

(٧) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العددان العاشر
والحادى عشر ص ٤ ، ٣

وولديه عبد الله وفيصل . وخلال المراسلات بين الشريف حسين وبين هنرى مكماهون (معتمد بريطانيا فى مصر) اعربت انجلترا فى عام ١٩١٤ عن قبولها للمطالب التى كان يعرضها الحسين . وتعهدت بالعمل على تأييدها وتحقيقها . وهى تتلخص فى استقلال العرب ووحدتهم وذلك بانشاء دولة عربية متحدة تشمل جزيرة العرب والشام بما فيه فلسطين والعراق وينادى به ملكا عليها .

فنتيجة لهذا الوعد خرج الحسين وأولاده على الدولة العلية التركية وأعلنوا الحرب فى يونيو عام ١٩١٦ . وظلوا الى نهاية الحرب العالمية الأولى يساعدون انجلترا وفرنسا فى جهودهما لانزال الهزيمة بالأتراك (٨) .

٢ - معاهدة « سايكس - بيكو » :

وفى نفس الوقت الذى كانت انجلترا تتفق فيه مع الشريف حسين على تتويجه ملكا كانت تتفاوض مع فرنسا وروسيا وتوصلت الى عقد معاهدة فى مايو عام ١٩١٦ وهى التى عرفت باسم معاهدة « سايكس - بيكو » نسبة الى ممثلى انجلترا وفرنسا اللذين عقداها . واتفقت فيها الدول الثلاث (انجلترا - فرنسا - روسيا) على تقسيم اقطار العالم الاسلامى وتوزيعها فيما بينها بعد هزيمة تركيا . وذلك التقسيم يكون على هذا الوجه :

(أ) أن تأخذ روسيا القسطنطينية ومناطق حولها وأراضى على الضفة المقابلة فى آسيا .

(ب) وأن تعطى لفرنسا سوريا ولبنان ثم ولاية الموصل شمالى العراق أيضا .

(ج) وأما انجلترا فتأخذ الجزء الأكبر من فلسطين وبقية ولايات العراق الى الجنوب ثم تجعل منطقة معينة حول القدس دولية .

(٨) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ص ١٩٩ - ٢٠٠

ولقد بقيت المعاهدة سرية لم يسمع العرب بوجودها الا بعد ان خرجت روسيا من الحرب عقب استيلاء الحزب الشيوعي على السلطة فى روسيا ونشره نص هذه الاتفاقية من المعاهدة السرية (٩) .

٣ - تصريح « بلفور » عن وعد انجلترا باقامة دولة يهودية :

وكان اخطر اتفاق عقده انجلترا فى اثناء الحرب العالمية الاولى اتفاقها مع الحركة الصهيونية . فقد استطاع وايزمان - مؤيدا بروتشيلد والراسماليين اليهود فى امريكا وانجلترا - ان يعقد اتفاقا مع لويد جورج رئيس وزارة انجلترا وبلفور وزير خارجيتها ، وتتعهد فيها انجلترا بوعده ان تبذل أقصى ما تستطيع لتحقيق أمل اليهود فى انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين . وصادر بذلك تصريح بلفور الشهير فى نوفمبر عام ١٩١٧ (١٠) .

٤ - تقرير « لورانس » :

قام الكولونيل لورانس بكتابة تقرير للمخابرات البريطانية فى عام ١٩١٦ وجاء فيه (١١) « ان اهدافنا الرئيسية تفتتت الوحدة الاسلامية بدحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها ، واذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيقون دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة غير قابلة للتماسك » .

وبعد ثمانية اعوام من هذا التقرير تحققت الاهداف الاستعمارية

(٩) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ص ٢٠٠ - ٢٠١ وكذلك العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٢ - ٥٣

(١٠) انظر : تباشير النهضة فى العالم الاسلامى للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ص ٢٠١

(١١) نقل عن مجلة الارشاد (اليمينية) العدد الثامن والتاسع ، السنة السادسة لشهر شعبان ، ورمضان ١٤٠٤ هـ (مايو ، يونيو ١٩٨٤ م) تحت عنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود وكذلك فى نظام الخلافة الاسلامية فى الفكر الاسلامى للدكتور مصطفى حلمى فى المقدمة (ق) .

وسقطت الخلافة الاسلامية ودمرت الامبراطورية العثمانية التي كانت تمتد فى ثلاث قارات : آسيا وافريقيا واوروبا .

● اعلان أتاتورك بالغاء الخلافة الاسلامية :

فى يوم ٢ مارس سنة ١٩٢٤ م (١٣٤٣ هـ) اصدر كمال أتاتورك قراره بالغاء الخلافة الاسلامية . وأعلن لأول مرة أن تركيا دولة علمانية والى التعليم الاسلامى فى مدارس تركيا وأغلق المحاكم الشرعية التي كانت تحكم بالاسلام وأغلق مسجد اياصوفيا بالقسطنطينية وهو أول مسجد بها حيث اتخذه الأمير محمد الفاتح مسجدا عندما فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م .

ولم يكتف أتاتورك بذلك بل اصدر قرارا بمنع المسلمين الأتراك من الحج الى بيت الله الحرام . وتمادى أتاتورك فى الضلالة فأصدر قرارات كثيرة منها منع الأذان ومنع التحدث باللغة العربية واحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فى كتابة اللغة التركية . وتحريم تعدد الزوجات ، واباحة الزواج للمسلمات من النصارى واليهود وفرض السفور والنبرج على النساء المسلمات ومنع الطربوش غطاء الرأس التركى واستبداله بالغطاء الغربى والقبعة بالقوة (١٢) .

● احتجاج العالم الاسلامى على الغاء الخلافة :

وجد المسلمون فى العالم بعد سقوط الخلافة الاسلامية على يد كمال أتاتورك عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) أنهم لأول مرة فى تاريخهم بلا خليفة يجتمعون حوله منذ أن اسسها الخلفاء الراشدون بعد وفاة

(١٢) مجلة الارشاد (اليمنى) العدد السابع السنة السادسة رجب ١٤٠٤ هـ (ابريل ١٩٨٤ م) مقال للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود . وانظر كذلك الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٧ - ٤٨

الرسول ﷺ وكانت الخلافة الاسلامية فى كل العصور رمزا للوحدة السياسية الاسلامية وهى تستطيع جمع شمل المسلمين فى المحن والشدائد ليكونوا جنود الاسلام فى معسكر واحد ضد معسكرات الكفر . وكانت الخلافة تجمع المسلمين على أساس دين الاسلام دون تمييز بين لون ولا جنس ولا لغة .

وكان لسقوط الخلافة الاسلامية أسى بالغ فى نفوس المسلمين فى كل مكان ، وقام المسلمون فى أنحاء مختلفة من الأرض يحاولون معالجة الأمر كل بطريقته . واختلفت المحاولات من الاحتجاج والادانة الى حركة المقاومة المسلحة . ففى الهند جاء وفد من مسلميها الى تركيا يقدمون التماسا لكامل اتاتورك أن يعدل عن رأيه فى الغاء الخلافة واقترحوا عليه ان يتولاها هو بنفسه والمسلمون على استعداد لمبايعته ولكن محاولتهم ارتطمت بتصميمه الجازم على المضى فيما اقدم عليه .

وفى مصر تنادى علماء الأزهر الى عقد مؤتمر عام يبحثون فيه قضية الغاء الخلافة وانعقد المؤتمر عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الا أنه لم يسفر عن شىء .

الا ان اعظم رفض واعنفه لسقوط الخلافة كان هو حركة المقاومة المسلحة التى قادها الشيخ سعيد فى شرقى تركيا عام ١٩٢٥ . والذى عرف فى تاريخ الاسلام المعاصر بالثورة الكردية زورا وبهتانا ، فقد نسب المؤرخون المعاصرون هذه الحركة الاسلامية الجهادية الى الأكراد انسياقا وراء التفسير العنصرى للتاريخ . وفى الحقيقة أن حركة الشيخ سعيد كانت حركة مقاومة اسلامية اتخذت أسلوب الجهاد والقتال ضد الحكم العلمانى فى تركيا وهدفها تمكين الاسلام واحياء الخلافة الاسلامية ، وليست هى الوحيدة من نوعها ، فقد تزامنت مع حركة الامير عبد الكريم الخطابى فى جبال الريف بالمغرب ضد الاسبان ، ومع حركة المجاهد الشهيد عمر المختار فى الجبل الأخضر بليبيا ضد الاحتلال الايطالى ، كما سبقتها حركات اسلامية أخرى كحركة الامام شامل فى جبال القفقاش وحركة الامير عبد القادر فى الجزائر .

وعلى الرغم من أن هذه الحركات الاسلامية لم يكتب لها النجاح للفارق الكبير بين قوتها المادية وقوة أعدائها الا أنها تركت للأجيال الاسلامية اللاحقة مثلاً رفيعة من التضحية والاستشهاد وصوراً رائعة فى الجهاد والقتال . وتأكيد لهذه الأجيال على أن الجهاد ماض الى يوم القيامة (١٣) .

● محاسن الخلافة العثمانية :

قد ذكر الدكتور مصطفى حلمى فى كتابه « نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى » محاسن الخلافة العثمانية فيقول(١٤) : « ولكن يكفى أن نذكر من محاسن هذا النظام أمراً واحداً لكى ترى ضرورته والحاجة اليه ، ذلك أن الأمة الاسلامية كانت فى ظله تحس أنها كيان واحد متماسك لا بد لها من خليفة يسوسها بشريعة الله » .

ولقد افترى على الخلافة العثمانية كثير . . الا أنها كانت وما زالت تترك فى نفوس المسلمين المعانى الكثيرة . يقول الأستاذ عبد الرحمن حنبكة الميدانى فى كتابه « اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها » (١٥) : « وكان وجود الخلافة فى المسلمين يتضمن لديهم المعانى التالية :

الأول : أن بقاء الخلافة يعنى وجود نظام سياسى يجمع شمل المسلمين مهما بلغ واقع حال هذا النظام الى مستوى محزن من الضعف والرمزية بفعل الدسائس الاستعمارية .

(١٣) مجلة الأمة (القطرية) العدد (١٢) السنة الأولى ذو الحجة ١٤٠١هـ (أكتوبر ١٩٨١ م) تحت عنوان : ثورة الشيخ سعيد فى تركيسا لاجياء الخلافة الاسلامية للأستاذ عبد الكريم مشهدانى ص ٣٣ مع بعض التصرف والاختصار .

(١٤) نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى للدكتور مصطفى حلمى

ص ٥٣٧

(١٥) نقلا عن مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد

(١٠ - ١١) شوال وذى القعدة ١٤٠٤ هـ (يوليو ، أغسطس ١٩٨٤ م)

ص ٣٦

الثانى : أن بقاء الخلافة دليل على استمرار تاريخ المسلمين فى ظل شعار سياسى واحد .

الثالث : أن بقاء الخلافة يعنى بقاء الرباط الذى يبرر للمسلمين الاشتراك والمساهمة فى الدفاع الدولى عن بلاد المسلمين وحقوقهم واقامة الوان التعاون فيما بينهم .

الرابع : أن بقاء الخلافة يقضى فى أدنى الحدود الرمزية بأن نقوم بين بلادهم حواجز مصنعة وهذا يعنى اشتراك الشعوب الاسلامية فى ديارهم وتمتعهم بحريات تنقلهم وتملكهم وتجاراتهم وسائر مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية .

● مأساة المسلمين فى غيبة الخلافة :

لم يذكر التاريخ ان المسلمين منذ سقوط الخلافة فى ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) أنهم توحدوا قط على غير الخلافة . فبسقوط الخلافة غاب النظام السياسى الاسلامى الذى كان يجمع شمل المسلمين وانفرط العقد الذى كان ينظم كل الاقطار الاسلامية ولم يعد فى امكان المسلمين أن يقفوا صفا واحدا امام أعدائهم ممزقين ، ورأينا الحواجز المصنعة التى وضعت فى وجه المسلم وليس فى مقدوره أن ينتقل بحرية بين أرجاء العالم الاسلامى كما كان أيام الخلافة .

لقد كانت الأمة الاسلامية فى ظل الخلافة تحس أنها كيان واحد وانها قوة لا يستهان بها فى وجه أى عدو .

واذا كنا نعترف بكثير من المساوىء للخلافة العثمانية الا أنه ينبغى الاعتراف أيضا بأنها استطاعت أن تمكث أكثر من خمسمائة عام تحمى ديار الاسلام وتذود عن المقدسات وتحارب الاستعمار وترد غاراته .

وبعد سقوطها رأينا أطراف العالم الاسلامى تنتقص ، فما زال الاحتلال اليهودى يجثم على صدر فلسطين وأجزاء من سوريا ومصر وجنوب لبنان .

بل الدولة الاسرائيلية ذاتها ظهرت خلال غيبة الخلافة الاسلامية . وغزا
الشيوعيون افغانستان المسلمة وما يزال المجاهدون الأفغان يقاتلون ،
والأقليات الاسلامية في كل البلاد أصبحت تداس بالنعال في بلغاريا
وبورما وكشمير والبنيا(١٦) .

(١٦) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العددان العاشر
والحادى عشر شوال وذى القعدة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) ص ١٦ بتصرف .

الدعوات القومية والعلمانية

ولما سقطت الخلافة الاسلامية ازدادت الدعوات القومية والعلمانية نشاطا وانتشارا وأصبحت الدعوة الى قيام الدولة القومية في اقطار العالم الاسلامى على أساس علمانى يفصل الدين الاسلامى عن الحكم والدولة ، وصارت القومية تتقدم على الاسلام وتعلو عليه في نظر أصحابها .

● بروز النزعات القومية الجاهلية :

كانت هناك عدة دعوات منها الدعوة الى القومية العربية في البلاد العربية والدعوة الى القومية الطورانية في تركيا والدعوة الى القومية الفارسية في ايران والدعوة الى القومية الهندية التي كان يدعو اليها المؤتمر الوطنى الهندى(١) .

ولقد عمل الاستعمار الصليبي على اذكاء وتشجيع النزعة القومية وذلك ليكون الولاء لها بدل الاسلام وكان أن نشأ خلال هذه الفترة كثير من النظم والأحزاب على أساس الولاء للقومية . فوجدنا أن هناك دعوات قومية جاهلية ضيقة ، فكانت الدعوة الى القومية الفينيقية فى سوريا والدعوة الى القومية الكردية فى العراق والدعوة الى القومية الفرعونية فى مصر والدعوة الى القومية البربرية فى الجزائر(٢) .

وهكذا تحقق لأعداء الاسلام ما يهدفون اليه من تحويل ولاء المسلمين عن الاسلام ، ولم يقف الأمر عند هذا الولاء القومى على

(١) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) ص ٤٤

(٢) انظر مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨)

عام ١٤٠٤ وكذلك كتاب : العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٤ - ٥٥ .

حساب الولاء الاسلامى بل ظهر المد الفكرى الشيوعى لكى يشكل مع التواطؤ النصرانى اليهودى حلقة كاملة تلتف حول المجتمع الاسلامى ، وقد نجم عن هذا انسحابات كثيرة من اطار العمل القومى بسبب من هذه التوجهات الشيوعية المقتربة بتوجهات نصرانية يهودية ورغم العداء بين هذه التيارات الثلاث الا أنها تشترك معا فى عدائها للاسلام (٣) .



● القوميون تلامذة لليهود وعملاء للغرب الصليبي :

كانت القومية اطروحة غربية اساسا ظهرت عى اثر تمزق وحدة المجتمع الأوروبى المسيحى حين ظهرت دعوة لوثر وكلفن تحت اسم البروتستانتية وكانت وراءها قوى تهدف الى تدمير النظام المسيحى الذى كان يقوم فى أوروبا . ومنذ بدأت الحركة البروتستانتية بدأت معها رياح القومية التى ترمى الى اعلاء شأن الوطن والقوم واحلالها محل الدين وذلك لاختفاء الفرق بين المسيحى واليهودى وهو ما سعت اليه اليهودية من خلال ما أطلق عليه عصر التنوير وتحققت غايتها بالثورة الفرنسية ومن ثم تداعت الصبغة الدينية المسيحية وعلت الصبغة القومية وقفز اليهود الى مناصب القيادة الفكرية والأدبية فى المجتمع الغربى ثم الى مناصب السيادة فى البرلمانات الأوروبية (٤) .

والتأمل فى دعاء القومية فى البلاد الاسلامية يجد انهم عملاء للغرب وتلامذة لليهود . فالملاحظ ان أكثر من ٩٠% من زعماء القومية العربية هم خريجو الجامعة الانجيلية (الأمريكية) فى بيروت . وفى الوطن العربى نجد ميشيل عفلق زعيم حزب البعث العربى الاشتراكى وأنطوان سعادة زعيم القوميين السوريين وجورج حبش زعيم القوميين العرب

(٣) انظر العالم الاسلامى والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن

ص ٥٥

(٤) مؤلفات فى الميزان للأستاذ أنور الجندى ص ٤٩ باختصار

وتصرف .

الفلسطينيين ، وفى تركيا نجد أن ضياكوك الب مفكر القومية الطورانية هو تلميذ المفكر اليهودى دوركايم(٥) .

● القومية جاهلية جديدة :

ان القومية بالمعنى الذى قرره دعائها تعتبر جاهلية جديدة اذ ان دعائها يرفعونها فوق الاسلام ويقدمونها عليه ، يدعون الى اقصاء الاسلام وفصله عن الحكم وحبسه فى المساجد ، بل يصل الأمر الى الكفر بالله وبدين الاسلام الذى انزله الله على خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

وقد ذكر الأستاذ فتحى يكن فى كتابه « حركات هدامة » ما جاء فى كتاب مؤسس القومية أنطوان سعادة « نشوء الأمم » : « أن فكرة الألوهية انما اخترعها الانسان يوم كان رازخا تحت سلطان الخوف والوهم والخرافة » ، وفى هذا كفر صريح حيث ينكر وجود الله سبحانه وتعالى(٦) .

وعن الحزب الذى نشأ فى الثلاثينيات - فى سوريا - يقول الأستاذ فتحى يكن : « وهو على سبيل المثال يدعو الى فكرة القومية السورية ويعتبرها مستقلة عن القومية العربية ويرى ان ازهى العصور فى تاريخ سوريا هو العصر الفينيقى بوثنيته وكفره وخمره وعاداته وتقاليدته ، ويعتبر الفتح الاسلامى فتحا اجنبيا ، وترى القومية السورية « اننا جميعا مسلمون ونصارى منا من اسلم لله بالانجيل ومنا من اسلم لله بالقرآن ومنا من اسلم لله بالحكمة »(٧) .

(٥) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) شعبان - رمضان ١٤٠٤ هـ (مايو - يونيو ١٩٨٤ م) تحت عنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود ص ٤٤ - ٤٥ باختصار .

(٦) مجلة الارشاد (اليمنية) السنة السادسة العدد (٩٠٨) شعبان - رمضان ١٤٠٤ هـ (مايو - يونيو ١٩٨٤ م) تحت عنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود ص ٤٥ باختصار وتصرف . (٧) المصدر السابق ص ٤٥

جاء على لسان على ناصر الدين أحد رواد القومية العربية قوله :
« القومية بالنسبة اليينا نحن القوميين العرب دين له جنته وناره ولكن
في الدنيا » (٨) .

وقال عمر فاخوري : « لا ينهض العرب حتى تصبح القومية العربية
أو المبدأ العربي ديناً يغارون عليه كما يغار المسلمون على القرآن الكريم
والمسيحيون على الانجيل الرحيم » (٩) .

وقد قرر الأستاذ الامام الشهيد حسن البنا أن هؤلاء الدعاة الى
القومية وحياء عادات جاهلية يؤدي بمفهومهم وافعالهم الى الشرك والبعد
عن الاسلام ويقول (١٠) : « اما أن يراد بالقومية احياء عادات جاهلية
درست واقامة ذكريات بائدة خلت ، وتصفية حضارة نافعة استقرت ،
والتحلل من عقده الاسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس
كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الاسلام والعروبة ،
حتى الاسماء وحروف الكتابة والفاظ اللغة وحياء ما اندرس من عادات جاهلية
فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سىء المغبة يؤدي بالشرك الى
خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتتحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته
وأقدس مظاهر شرفه ونبله ولا يضر ذلك دين الله شيئاً : « وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (١١) .

وقد اعتبر الاسلام كل دعوة الى عصبية الجنس والاعتزاز بنسب
القوم أو العشيرة عودة الى الجاهلية الأولى في تعصبها وحميتها وضلالها ،
وروى ابو داوود أن النبي ﷺ يقول : « ليس منا من دعا الى عصبية ،

-
- (٨) العالم الاسلامي والمكائد الدولية للأستاذ فتحى يكن - مؤسسة
الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ص ٥٧
(٩) من محاضرة للأستاذ محمد المبارك عام ١٣٨٩ هـ ، ص ٨٥
أقيمت في رابطة العالم الاسلامي . نقل عن كتاب العالم الاسلامي والمكائد
الدولية للأستاذ فتحى يكن ص ٥٧
(١٠) مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ، دار القلم بيروت
بدون تاريخ ص ١٠٩ (١١) محمد : ٣٨

وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية» (١٢) .
وروى مسلم أن النبي ﷺ يقول : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة او يدعو الى عصبية او ينصر عصبه فقتل فقتله جاهلية ، ومن خرج على امتى يضرب برها وفأجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد: عهده فليس منى ولست منه » (١٣) .

● مؤامرة فصل الدين عن الدولة :

صدر كتاب « الاسلام واصول الحكم » للشيخ على عبد الرازق القاضى الشرعى فى مصر عام ١٩٢٥ وذلك بعد أن مضى عام على سقوط الخلافة الاسلامية على يد كمال اتاتورك . « وقد بذل هذا الكاتب التقدمى كل جهده واهدر قصارى امكانياته ليبرهن على ان الحكم ليس من طبيعة الاسلام فى شىء وأن الاسلام دين لا علاقة له البتة بالسياسة والحكم وأن تاريخ الحكم الاسلامى ما هو الا استبداد وظلم » (١٤) .

وجاءت فى كتاب « الاسلام واصول الحكم » مفاهيم كثيرة تتنافى مع البديهيات الاسلامية التى تتعارف عليها الأجيال الطويلة . ونقرأ مما يقول الشيخ على عبد الرازق :

١ - « ان الخلافة فى الاسلام لم تتركز الا على اساس القوة الرهيبة وأن تلك القوة كانت - الا فى النادر - قوة مادية مسلحة » (١٥) .

(١٢) سنن أبى داوود ، مطبعة مصطفى البسابى بمصر الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ، ج ٢ ص ٦٢٥
(١٣) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٣ ص ١٤٧٦ - ١٤٧٧

(١٤) مؤامرة فصل الدين عن الدولة للأستاذ محمد كاظم حبيب دار الايمان بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) ص ٤٠
(١٥) الاسلام واصول الحكم للشيخ على عبد الرازق مطبعة مصر الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ص ٢٨

٢ - « ان شعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لا تتوقف على ذلك النوع من الحكومة يسميه الفقهاء خلافة . ولا على أولئك الذين يلقبهم الناس خلفاء . والواقع ايضا أن صلاح المسلمين في دنياهم لا يتوقف على شيء من ذلك ، فليس بنا حاجة الى تلك الخلافة لأمر ديننا ولا لأمر دنيانا ولو شئنا لقلنا أكثر من ذلك . فانما كانت الخلافة ولم تنزل نكبة على الاسلام وعلى المسلمين وينبوع شر وفساد » (١٦) .

٣ - ان ذلك اللقب « خليفة رسول الله » مع ما أحاط به من الاعتبارات التي أشرنا الى بعضها ولم نشر الى باقيها كان سببا من أسباب الخطأ الذي تسرب الى عامة المسلمين ، فخيّل اليهم أن الخلافة مركز ديني وأن من ولى أمر المسلمين فقد حل منهم في المقام الذي كان يحله رسول الله ﷺ » (١٧) .

٤ - « والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة . وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها » (١٨) .

واختتم على عبد الرازق كتابه بتشجيع المسلمين على أن يثوروا على نظام الخلافة الاسلامية « وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه » (١٨) على حد تعبيره . وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية النصرانية كتاب الشيخ على عبد الرازق بالترحيب والتصفيق لأنها في الحقيقة تخدم أهداف الاستعمار وأعداء الاسلام في تشويه الاسلام من جانب وفي السيطرة على الشعوب الاسلامية واذلالها الى الأبد (١٩) . وأثار الكتاب ضجة كبيرة في أوساط المسلمين . . . اذ أعلن الشيخ ان الخلافة الاسلامية لا أصل لها من الدين ، ودعا الى الفصل

(١٦) الاسلام وأصول الحكم - المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٦

(١٧) المصدر السابق ص ١٠١ .

(١٨) نفس المصدر ص ١٠٣

(١٩) العالم الاسلامي والمكائد الدولية للأستاذ فتحي يكن ص ٦٠

بين الدين والحكم ، او بين الاسلام والدنيا وأنه يجب انهاء الخلافة من تاريخ المسلمين (٢٠) .

وهو بهذا قد خالف ما جاء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، كما انه خالف اجماع المسلمين . يقول الله تعالى : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتكم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعمنا يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا . يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ، فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا » (٢١) ويقول الرسول ﷺ : « كللك راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته . كلاكم راع ومسئول عن رعيته » (٢٢) (متفق عليه) .

ويقول الرسول ﷺ : « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (٢٣) (رواه مسلم) .

ويقول رسول الله ﷺ : « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي . وأنه لا نبي بعدى . وستكون خلفاء فتكثر » ، قالوا

(٢٠) مجلة الارشاد (اليمنية) العدد (١٠ - ١١) السنة السادسة شوال - ذو القعدة ١٤٠٤ هـ (يوليو - أغسطس ١٩٨٤ م) مقال بعنوان : الخلافة الاسلامية بعد ستين سنة من سقوطها للأستاذ صلاح الدين عبد المقصود ص ٣٥ (٢١) النساء : ٥٨ ، ٥٩

(٢٢) رياض الصالحين للنووي ، دار الارشاد بيروت ١٣٨٧ هـ

ص ٩٨

(٢٣) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء الكتب

العربية طبعة أولى ١٣٧٥ هـ ، ج ٣ ص ١٤٧٨

فما تأمرنا ؟ قال : « فوا ببيعة الأول فالأول . وأعطوهم حقهم . فان الله سائلهم عما استرعاهم » (٢٤) (رواه مسلم) .

وأصدرت هيئة كبار العلماء في ٢٢ محرم سنة ١٣٤٤ هـ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) حكمها بأدانة الشيخ على عبد الرازق واخراجه من زمرة العلماء . وكان من حيثيات الحكم أن الشيخ عليا جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا . وقد ردت الهيئة على هذا الزعم الباطل بأن الدين الاسلامي هو اجماع المسلمين على ما جاء به النبي ﷺ من عقائد وعبادات ومعاملات لاصلاح امور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، كلاهما مشتملة على احكام كثيرة في أمور الدنيا واحكام كثيرة في أمور الآخرة (٢٥) .

ان فكرة فصل الدين عن الدولة فكرة علمانية أوحى بها الصليبيون والماسونيون ليستطيعوا اخضاع العالم الاسلامي لسيطرتهم ونفوذهم . وأول ما ظهرت هذه الفكرة العلمانية الدخيلة في الشرق كان في تركيا وعلى اثرها سقطت الخلافة الاسلامية ومنها انتقلت الى مصر والعالم العربي والاسلامي . حيث اجترأ المارقون علنا على التصريح بوجود فصل الدين عن الدولة بعد ان كانوا يضمونها في خبايا نفوسهم الخبيثة خشية من الجماهير المؤمنة (٢٦) .

ان المنادين بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة والسياسة قد ابتدعوا دينا جديدا واصحابه خارجون على دين الاسلام . ويقول الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله : « ان من يدعو الى فصل الدين عن السياسة انما تصور دينا آخر وسماه الاسلام » (٢٧) .

(٢٤) صحيح مسلم - المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٧٢

(٢٥) العالم الاسلامي والمكائد الدولية للأستاذ فتحي يكن

ص ١٠٩ - ١١٠ باختصار .

(٢٦) انظر : مؤامرة فصل الدين عن الدولة للأستاذ محمد كاظم

دار الايمان بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ ، ص ١٣ وما بعدها .

(٢٧) المصدر السابق ص ٢٠

ويقول أيضا : « فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ولا يقدم عليه المسلمون الا بعد ان يكونوا غير مسلمين » (٢٨) .

ويقول شيخ الاسلام مصطفى صبرى رحمه الله : « ان هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه ، ولقد كان في كل بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون في البلاد الاسلامية كيد للدين ومحاولة للخروج عليه لكن كيدهم فى فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد » (٢٩) ويضيف « وهو أقصر طريق الى كفر » (٣٠) .

وان فصل الدين عن الدولة لا يقل خطرا عن فصل الأمة عن دينها ويقول شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر المراعى : « ان فى امكان أى حكومة اسلامية ان تخرج عن دينها فتصبح حكومة لا دينية . وليس فى هذا مانع من ان يبقى الشعب على اسلامه كما هو الحال فى تركيا الجديدة » (٣١) .

(٢٨) مؤامرة فصل الدين عن الدولة - المصدر السابق ص ٢١

(٢٩) نفس المصدر ص ٧٨

(٣٠) موقف العقل والعلم ج ٤ ص ٢٨١

(٣١) مؤامرة فصل الدين عن الدولة ص ٧٩

المبحث الثالث

قيام الدويلات الوطنية على أساس علمانى وقومى جاهلى

فقد اقتحمت العلمانية المجتمع الاسلامى فى اى مكان احتله الغرب الصليبي ، وفى فترة الاحتلال المباشر على العالم الاسلامى استولى الغرب على نظام الحكم بفلسفته العلمانية التى تسقط الدين فى مفهومه عن السلطة والحكم . واخذ يغالب الاسلام فى عنف ويقهره على الاستكانة والتخلى عن حاكميته وشريعته طوال فترة الاحتلال المباشر .

وبعد استقلال البلاد الاسلامية من الاستعمار الغربى لم يعد الوضع احسن بالنسبة للاسلام فى الحكم الوطنى . لان هذا الحكم الوطنى اعتمد على الجيل الذى تربى فى المدارس العلمانية التى اقامها الاستعمار وغرس فيها مبادئ وفلسفات تدافع عن العلمانية (١) .

● الجيل العلمانى من صنع الاستعمار الغربى :

وعن هذا الجيل العلمانى الذى يحكم العالم الاسلامى بعد مغادرة الاستعمار يقول الدكتور يوسف القرضاوى (٢) : « كان الاستعمار الغربى يسيطر على البلاد الاسلامية وكان بالطبع هو الذى يختار حكامها ويوجههم ويدير دفة الامور على ما يريد مباشرة او من وراء ستار » . ولذا سار الحكم فى هذه البلاد فى الاتجاه العلمانى الليبرالى الديمقراطى الراسمالي الغربى الذى يؤيده الاستعمار المتسلط . كما تؤيده جمهرة المثقفين الذين تعلموا على يديه والذين راوا ان هذا النظام الجديد يحمل معانى التقدم والحرية والتطور والتجدد ، ويقاوم الجهل والجمود والتخلف والاستبداد الذى اتسمت به عصور الاتحطاط السابقة .

- (١) انظر : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه للدكتور محمد البهى . مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤
- (٢) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ص ٤٢

وأضاف الدكتور يوسف القرضاوى : ان هؤلاء العلمانيين لا يعرفون حقيقة الاسلام وشموليته وحضارته ، فيقول عنهم(٣) : « ولم يتح لهم من العلم النافع ما يعرفون به حقيقة دينهم الاسلام الذى يؤمنون به اعتقادا ، ويجهلونه شريعة ونظاما وفلسفة وحضارة ، كما لم يكن لديهم من دوافع الرغبة فى معرفة ما يجهلهم يطلبون العلم به عند اهله العارفين به ، وقليل ما هم . فالولع بتقليد الغرب المتفوق الغالب سد عليهم منافذ المعرفة أو الرغبة فيها شأن المغلوب مع الغالب ، والضعيف مع القوى كما قال حكيم المؤرخين ابن خلدون » .

وذكر الدكتور محمد البهى فى كتابه « الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر:مشكلات الحكم والتوجيه»- أن الأجيال التى تتولى الحكم الوطنى بعد الاستقلال لم يكن لديها الاستعداد الكافى لمراجعة النظام العلمانى وذلك بحكم تكوينها الثقافى العلمانى ويقول(٤) : « ان ممارسة الأجيال الجديدة للحكم الوطنى فى المجتمعات الاسلامية بعد الاستقلال السياسى تسير على تقليد الغرب فى كل ما له من نظم ، لأنها ورثت أصول هذه النظم من الغرب المستعمر فى مجتمعاتها الاسلامية التى منحت الاستقلال السياسى منه . ومن السهل عليها ان تستمر على أساس منها عن طريق المحاكاة والتقليد بدلا من التأصيل من جديد على تراث الماضى فى تلك المجتمعات . والأنها كذلك غير مستعدة بحكم تكوينها الثقافى والتوجيهى أن تنظر فى هذا التراث نظرة فاحصة . وكذلك بسبب ما أسدل على هذه التراث من الوان قاتمة صرفت نفوسها عنه ، ورسمت فى تصورها اياه شبها رهيبا يخيف ويفزع قبل ان يشجع على الاقدام عليه » .

(٣) الطول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٣
(٤) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى

ص ٣٥٦

● المفهوم الغربى للدين والدولة هو الفصل بينهما :

وكانت العلمانية من اخطر النتائج واعمق الآثار التى حفرها الاستعمار الغربى من بعده ، فالعلمانية جملة من المبادئ والتطبيقات ترفض اية صورة من صور العمل بأحكام الله ودينه فى المجتمع والدولة . وانما هى تؤمن بوجوب تنحية الدين واحكامه ثم ابعاده من الدخول فى أى شأن من شئون الدولة وعلى وجه أخص فى التربية العامة وفى قيادة المجتمع والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية(٥) ، وبعبارة أخرى هى العمل على سيادة المفهوم الغربى لما يسمى ديننا وما يسمى دولة وتأكيد للفصل بينهما فكريا وعمليا فى كل بند يدخله الاستعمار واصطناع الهوية الحقيقية بينهما حتى لا يعود فى يوم قريب الدين الى سلطانه فيسيطر على الدولة ويوجهها(٦) .

فقد سار الحكم الوطنى فى طريق العلمانية تشريعا وتوجيها وثقيفا وعمل القادة والزعماء العلمانيون فى البلاد الاسلامية « على علمنة الأفكار والأوضاع بحيث حصر الدين فى المساجد وبعض الزوايا التافهة وفرض على الشرق المسلم مفهوم الغرب المسيحى للدين : أى أنه مجرد علاقة بين المرء وربّه »(٧) ، وشاعت فى الناس شعارات « الدين لله والوطن للجميع » و « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين »(٨) و « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »(٩) .

(٥) انظر : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى ص ٣٥٩ باختصار .

(٦) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٦

(٧) المصدر السابق ص ٤٨

(٨) من شعارات ردها الرئيس أنور السادات .

(٩) انجيل متى الاصحاح ٢٢ الآية ٢١ « أعطوا ما لقيصر لقيصر

وما لله لله » وهذا المبدأ لا أساس له فى الاسلام . يقول الشيخ محمد عبده « ثم لم يكن من اصوله أن يدع ما لقيصر لقيصر . . بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ويأخذ على يده عمله » . انظر مجلة الاعتصام العدد الثالث والرابع ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) .

وقام النظام التعليمي العام في المدارس والجامعات على هذا الأساس كما قام التثقيف العام عن طريق الكتب والصحافة والاذاعة على هذا النهج . وبذلك ثبت المفهوم الاستعماري الدخيل الخبيث : أن الدين لا شأن له بالسياسة وأن الدولة لا علاقة لها بالدين (١٠) .

فقد أصيب المجتمع الاسلامي بهذا الانقسام العلماني فانقسم كل شيء فيه من فكر وعلم وقانون وادارة وسياسة ، ويقول الدكتور يوسف القرضاوى (١١) : « ومن نتيجة هذا الانقسام تسمية بعض الناس رجال الدين في مقابل تسمية آخرين برجال الدولة أو السياسة أو العلم . مع أن الفكر الاسلامي لا يعرف فكرة رجال الدين كما عرفها الغرب المسيحي . انما يعرف علماء الدين المتخصصين في دراسته وفقهه . اما بعد ذلك فكل مسلم رجل دين » .



● تبعية المجتمعات الاسلامية للنظام الليبرالي أو النظام الاشتراكي :

يقول الدكتور يوسف القرضاوى (١٢) : « فرغم جلاء الجيوش الأجنبية عن البلاد وعلان الاستقلال والاحتفال به كل عام ، وانتقال السلطة من أيدي الأجانب الى أيدي الوطنيين لم يتحقق من الاستقلال الا اسمه ومظهره لا لبه وروحه ، وذلك لأن معظم البلاد الاسلامية أو الدول القومية الوطنية لم تزل تابعة للغرب فى اتجاهاته ومذاهبه وأنظمتها وهى تتخذ الغرب المادى قبلة لها فى مناهج فكرها وثقافتها وفى نظم حكمها وسياساتها واقتصادها سواء اكان هذا الغرب راسماليا ليبراليا أم اشتراكيا شيوعيا فكلاهما غرب » (١٣) .

(١٠) الطول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٤٩

(١١) المصدر السابق ص ٥٠

(١٢) الحل الاسلامي فريضة وضرورة للدكتور يوسف القرضاوى ،

مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ص ٢٨

(١٣) انظر الحل الاسلامي للدكتور يوسف القرضاوى ص ٢٨

بتصرف .

ويقول الدكتور محمد البهى (١٤) : « ان المجتمعات الاسلامية لم تنزل موزعة على نظامى الحكم - يعنى الليبرالى والاشتراكى - على اساس من الفكر الغربى وحده وبذلك لم تتخل عن التبعية للأجنى وثائق الاستقلال وممارسة بعض مظاهره من الانتقال من نوع الى آخر فى نظام حكمه وايدولوجيته . وليس من هذه المجتمعات - حتى الآن - ما راجع الاسلام فى صلاحيته لسياسة المجتمع ، وضبط سلوك الأفراد فيه ، مراجعة جديّة بناءة حتى ذلك المجتمع فى آسيا الذى أعلن منذ ربع قرن تقريبا - بعد جهاد مرير طال امده - قيامه على أساس من الفكر الاسلامى وحده » يعنى مجتمع باكستان التى نودى بقيامها على أساس الاسلام . الى أن يقول الدكتور : « لا بديل عن الاسلام فى الحفاظ على استقلال هذه المجتمعات وأى بديل الآن يظن أنه كاف فى سياسة الحكم والتوجيه فيها هو - على سبيل القطع والتأكيد - بداية لتبعية تنتهى حتما الى ذوبان لشخصيات هذه المجتمعات والى ضياع مقوماتها » .



● فشل الليبرالية والاشتراكية فى العالم الاسلامى :

لقد أثبتت التجربة العلمانية بشقيها الليبرالى والاشتراكى فشلها فى البلاد الاسلامية وساعت فى ظلها الأحوال وفسدت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولم تنجح فى اقامة تضامن حقيقى بين تلك البلاد .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى (١٥) : « ان الليبرالية لم تكن يوما ما صالحة لعلاج مشكلاتنا وشفاء أمراضنا والرقى بأممتنا لأنها نشأت فى مجتمع غير مجتمعنا لتعالج أوضاعنا » ومن أسباب فشل الليبرالية فى

(١٤) عن مقال « الشباب المسلم » للدكتور محمد البهى بمجلة الوعى الاسلامى السنة السابعة العدد ٧٧ ، جمادى الأولى سنة ١٣٩١ هـ (يونيو سنة ١٩٧١ م) نقلا عن الحل الاسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ص ٢٩ وكذلك التعليق عليه .

(١٥) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٢

المجتمعات الاسلامية هو ان المسلمين لا يؤمنون بها ولا بشرعيتها ولا تكتسب لنفسها رضا المسلمين ولاؤهم واحترامهم . بل ان المسلمين يرون أن الليبرالية الديمقراطية نظام قاصر ككل الأنظمة التي يضعها البشر لأنفسهم بعيدا عن هدى الله ونوره فتأتى حتما مليئة بالفجرات ونقاط الضعف والقصور التي تنكشف للناس يوما بعد يوم ، ولم تبرأ الليبرالية الديمقراطية من عيوب . وإضافة الى ذلك أن الليبرالية مذهب مستورد من مجتمعات غربية عن المجتمعات الاسلامية التي لها عقيدة راسخة وشريعة شاملة وقيم عظيمة «(١٦) .

وكذلك بالنسبة للاشتراكية فى البلاد الاسلامية والعربية فقد سقطت فى الخطأ الأكبر الذى وقعت فيه الليبرالية من قبل ، وكان الخطأ الأول للاشتراكية الثورية العربية أنها لم تعرف حقيقة الامة التى تقودها وتضع الحلول لمشكلاتها وهى لم تعرف تاريخ هذه الامة ولم تسبر غورها ولم تنفذ الى روحها لنعرف حقيقة أفكارها ومشاعرها واتجاهاتها(١٧) .

ومن المبادئ الأساسية للاشتراكية العربية « النظرية الثورية » ، وهى نظرية مستوردة من الحركة الاشتراكية العلمية فى البحث والتحليل . ومن ذلك لا بد من الصراع العنيف والانقسام الحاد فى المجتمع ولا بد لكى يتحقق المجتمع العربى الاشتراكى من تجمع القوى التقدمية وتنظيمها حسب العقيدة الاشتراكية والهجوم على الرجعية(١٨) . ويقسول المستكاوى أحد الاشتراكيين العرب(١٩) : « الاشتراكية هى مسألة عقيدة اعتنقها الشعب العربى كله من حدود ايران فى الشرق حتى مشارف المغرب على المحيط الأطلسى » ، واذا لاحظنا مواثيق وقرارات حركة القوميين للاشتراكيين العرب وجدنا كثيرا فى عباراتها . من الفكرة

(١٦) انظر : الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٢ باختصار وتصرف .

(١٧) المصدر السابق ص ٣٠٠

(١٨) نفس المصدر ص ٣٠٤

(١٩) من كتاب « فى التطبيق الاشتراكى » نقلا عن كتاب الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٠٥

الماركسية والروح الماركسية وبخاصة لدى الأجنحة المتطرفة فيها .
ومن أمثلة ذلك وجدنا فى مصر ذكر الميثاق « ان الاشتراكية العلمية هى
الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم . كما ان الحل الاشتراكى
حتمية تاريخية» (٢٠) وكذلك قررت حركة القوميين العرب « اعتماد
الاشتراكية دون سواها واعتماد الثورة والايان بالصراع الطبقي كحقيقة
علمية لا بد منها للتطبيق الاشتراكى » (٢١) .

ويعلق عليها الدكتور يوسف القرضاوى فيقول (٢٢) : « بهذه
الاشتراكية المتمركسة حاول البعثيون والناصريون والحركيون ان يملأوا
الفرغ العقائدى فى قوميتهم العلمانية . وتخلوا عنهم حلوا العقدة
بهذا المضمون الاشتراكى الملقق المستورد . وانهم وجدوا به السائل
المناسب ليملأوا به كأس عروبتهم التى افرغوها من الشراب الطبيعى
الأصيل للأمة العربية وهو الاسلام » .

لقد أخطأ اليساريون الاشتراكيون العرب فى الاتجاه كما أخطأ
الليبراليون اليمينيون من قبل . وخطأ الاتجاه يعنى أن كل المشروعات
والتحركات والأعمال لا تؤتى أكلها ولا تعطى ثمرتها المرجوة (٢٣) .

لقد أخففت أيديولوجيتهم وحق لها أن تخفق ، وفشل نظامهم وكان
حنميا أن يفشل . فمحال أن تنجح أيديولوجية أو نظام يفرض على أمة
تعتقد - بحكم تعاليم دينها - أنها تملك أمثل فلسفة لتفسير الوجود واكمل
نظام لتوجيه الحياة واعدل شريعة لتسيير المجتمع .

محال أن تنجح هذه الأيديولوجية أو ذاك النظام المستورد الا اذا
أخلت الأمة بالتزامها بدينها ونقضت - جهرة - عهدها مع ربها ورضيت
لنفسها الكفر بالدين (٢٤) .

(٢٠) نقلا عن كتاب الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى
ص ٣٠٥

(٢١) انظر : الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى
ص ٣٠٤ - ٣٠٥

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٠٥

(٢٣) المصدر السابق ص ٣١٦ (٢٤) المصدر السابق ص ٣١٧

● فرض العلمانية بالقوة على المجتمع الاسلامى :

ان العلمانية بشقيها الليبرالى والاشتراكى لم يكن لها قبول ورواج من الأمة الاسلامية ولا تكاد تجد من يصغى اليها فى البلاد الاسلامية للشعور العام بأنها تصطدم بنظام الاسلام فى الحياة والمجتمع « ولكن الذى حدث أن الاشتراكية كزميلتها الليبرالية الديمقراطية كلتاهما فرضت من فوق . كما قال برنارد لويس : « الليبرالية فرضها الاستعمار ثم خلفاؤه من الحكام الوطنيين ، والاشتراكية فرضتها الانقلابات العسكرية بالدبابات والمدرعات » (٢٥) .

ولم تستطع العلمانية فى أكثر البلاد الاسلامية أن تكتسب لنفسها الصفة الشرعية لدى الجماهير المسلمة ، ولم يستطع الحكام والزعماء العلمانيون - سواء اكانوا ليبراليين أو اشتراكيين - أن يظفروا بالقبول الجماهيرى لأن الجماهير المسلمة آمنت اجمالا بأن الاسلام دين الحياة وان شريعته صالحة لكل زمان ومكان وان الأمة ترفض ابعاد الاسلام عن الدولة وترى فى ذلك مروقا وخيانة لله ولرسوله ولجماعة المسلمين (٢٦) .

واذا علمنا أن الاسلام عقيدة وشريعة ونظام كامل للحياة فان قبول العلمانية فى المجتمع الاسلامى يعنى « اطراح شريعة الله ورفض احكام الله واتهام هذه الشريعة بأنها لا تصلح لهذا الزمن ، واتخاذ البشر شرائع لأنفسهم من وضع عقولهم على علم الله وتجاربهم القاصرة على هداية الله « قل أنتم أعلم أم الله » (٢٧) .

لهذا كانت الدعوة الى العلمانية بين المسلمين معناها الالحاد والمروق عن الاسلام . وكان قبول العلمانية أساسا للحكم بدلا من الشريعة الاسلامية ردة صريحة عن دين الأمة الذى رضيه الله لها . ورضيته لنفسها ، والذى

(٢٥) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٢١

(٢٦) المصدر السابق ص ٤٨ بتصريف .

(٢٧) البقرة : ١٤٠

فرض عليها أن تحكم بما أنزل الله (٢٨) . ولكن العلمانية فرضت على البلاد الاسلامية بقوة الدبابات أو بخداع رأى الجماهير . ولم يكن للأمة الاسلامية فى ذلك اختيار ولا مدخل . وفرضت على الجمعيات الاسلامية أن تنص فى نظامها الأساسى على أنها لا تتدخل فى السياسة، وحين اشتغلت احدى الجماعات الاسلامية بالسياسة ودعت الى الحكم الاسلامى واقامة الدولة الاسلامية وتطبيق الشريعة الاسلامية كان أول ما اتهمت به أنها خلطت الدين بالسياسة ، وأنها حاولت الانقلاب على نظام الحكم العلمانى أو الحكم القومى .

فأصبح الصراع فى المجتمعات الاسلامية صراعا داخليا بين العلمانيين والاسلاميين . وكانت هناك خصومة بين الحركة الاسلامية والحكومة الوطنية وأسباب هذه الخصومة كثيرة « فالحكومات تسترضى الدول الكبرى وتستعطفها وتتقرب اليها بضرب عدوها وهو الاسلام حيث تخشى هذه الدول الكبرى أن تعود للاسلام دولته ، وأن أعداء الاسلام فى الشرق والغرب يرون الاسلام خطرا عظيما عليهم ومن هذه الأسباب يتجاهل بعض الحكام الوطنيين الاسلام أو لعل بعضهم يكونون علمانيين أو غير مؤمنين بالله أصلا » (٢٩) .

● دولات وطنية وليست بدار الاسلام :

فقد ذكرنا أن المؤامرات الصليبية واليهودية والماسونية كانت من وراء غرس بذور الفتنة القومية والوطنية لتحطيم الوحدة الاسلامية التى تمثلها الخلافة الاسلامية ولتمزيق العالم الاسلامى الى أجزاء ودويلات صغيرة يسهل ابتلاعها والسيطرة عليها بطريق الاستعمار المباشر أو فرض الوصاية والتبعية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية .

(٢٨) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٤
(٢٩) مجلة منار الاسلام - العدد السادس السنة الحادية عشرة
جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ (فبراير ١٩٨٦ م) حوار مع الشيخ طه السماوى
ص ٩٣ - ٩٤ باختصار وتصرف .

ان الوضع السياسى للعالم الاسلامى اليوم فى حالة غيبة الخلافة الاسلامية التى تجمع اقطار المسلمين كان سيئا للغاية حيث تمزق العالم الاسلامى الى دويلات صغيرة ومتنازعة فيما بينها أو واقعة تحت النفوذ السياسى غير الاسلامى . يقول الدكتور القرضاوى (٣٠) : « ان أجزاء كثيرة من هذا العالم الفسيح تشكو من سيطرة الأجانب - غير المسلمين - على أرضها وتحكمهم فى أهلها كفلسطين وكشمير واريتريا والحبشة وقبرص وبخارى وسمرقند وغيرها من ديار الاسلام » (٣١) .

والأجزاء الأخرى من هذا العالم تشكو من هذا التمزق العجيب والتجزئة المفتعلة والحواجز المصطنعة التى جعلت من الأمة الواحدة - كما رضى الله لها أما ودولا كما شاء الاستعمار . يجافى بعضها بعضا بل يضرب بعضها وجوه بعض - حتى لترى بعضهم يقف مناصرا لأعداء المسلمين ضد المسلمين استجابة لنعرات جاهلية أو خضوعا لسياسية استعمارية غربية أو شرقية (٣٢) .

ويرى الدكتور اسماعيل الفاروقى ان النزعة القومية قد انتشرت فى العصر الحديث بين الأقاليم الاسلامية بتأثير من الغرب سواء أكانت هذه الأقاليم تخضع لنظام استعمارى مباشر أو غير مباشر من خلال نزعة التقليد . ولقد كانت نيران النزعة القومية الشعبوية تزكى باستمرار بواسطة القوى الغربية من خلال التقسيم والاحتلال والانفصال . فوجد العالم الاسلامى بعد الانتقال من الاستعمار مجزا الى دويلات قومية منفصلة ولم تستطع هذه الدول أن تتحد فيما بينها . ولا تكاد توجد حدود بين دول اسلامية لم تشهد توترا أو اغتصابا وارقة دماء . وأسوأ هذه الحروب اليوم كانت الحرب العراقية الايرانية .

وسابقا كانت حرب اليمن والسعودية ، وحرب اليمن ومصر ، وحرب اليمن مع اليمن ، وحرب اليمن وسلطنة عمان ، وحرب الباكستان مع

(٣٠) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٣

(٣١) مثل أفغانستان وبورما والفلبين وفضانى .

(٣٢) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٣

بنجلاديش ، والمواجهة الماليزية الأندونيسية فى كاليمانتان ، والمجابهة الجزائرية المغربية فى الصحراء ، والتوتر بين مصر وليبيا ، وبين ليبيا وتونس ، وبين السودان وليبيا ، وبين سوريا والأردن ، وبين سوريا والعراق ، وبين قطر والبحرين(٣٣) .

ان النزعة الوطنية والقومية لدى القوميين والعلمانيين ليست بمعنى ان يحب الانسان وطنه ويهتم بأمره ، أو ان يحب قومه - فهذا لا حرج فيه - ولكنها كانت بمعنى ان يصبح ولاء المسلم لرقعة معينة من الأرض أو الجنس أو عنصر خاص من الناس . ومقتضى هذا أن يقدم الرابطة الوطنية الاقليمية والقومية العنصرية على الرابطة الدينية الاسلامية ، وهذا اتجاه مريض فى حياة الأمة الاسلامية .

لقد كان وطن المسلم من قبل يعنى دار الاسلام على اتساعها ، فكل ارض تجرى فيها أحكام الاسلام ، وتقام شعائره ، ويعلو سلطانه ، هى وطن المسلم يغار عليه ويدافع عنه كما يدافع عن مسقط رأسه . وكان العالم ينقسم عند المسلم على هذا الأساس العقائدى . فهو اما دار اسلام واما دار كفر(٣٤) .

ان دار الاسلام فى اصطلاح الفقهاء المسلمين هى « موطن تسود فيه شريعة الاسلام وتنفذ أحكامه وتحدد حدوده وترفع شعائره وتعتمد تربيته ، تسود فيه قيم العدل فى القضاء ، والشورى والحرية فى الحكم ، والحرية فى المعتقد ، والاحسان فى التعامل . مجتمع خلص الناس فيه من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة . أما دار الحرب فهى كل وطن لا تسوده شريعة الله ولا تنفذ فيه أحكامه أو هو بكلمة مختصرة نقيض دار الاسلام »(٣٥) .

(٣٣) انظر : مجلة المسلم المعاصر العدد (٣٨) .

(٣٤) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٥٢

(٣٥) نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى للأستاذ عمر عبيد حسنة

سلسلة كتاب الأمة الرقم الثامن - دولة قطر - الطبعة الأولى محرم

١٤٠٥ هـ ، ص ١٣٢

وهنا ينبغي التوضيح للأقوال العامة التي يطلقها بعض أمراء أو قادة الحركات الاسلامية المعاصرة على مجتمعنا بأنه مجتمع جاهلى أو أن المجتمع الذى نعيش فيه ليس بدار الاسلام كما قلت فى هذا البحث . وذلك لا يعنى أن افراد المجتمع بأعينهم كفار أو جاهليون أو ليسوا بمسلمين . وفى هذا يقول الشيخ طه السماوى(٣٦) : « احب أن أوضح أن كلمة المجتمع عند علماء السياسة والاجتماع لا تعنى أفراد الناس بأعينهم وانما تعنى البنائيات الكاملة فى هذا المجتمع ، واننى حين أقول ان هذا المجتمع مجتمع جاهلى كافر ، لا أقصد أن اكفر أفراد المجتمع بأعينهم فهذا حكم لا ينصرف على هؤلاء الأقسام وانما ينصرف ذلك على الراية المرفوعة والأحكام الجارية . هذا ما اعنيه ، وليس معنى ذلك اننى اكفر أفراد المجتمع والا فأنا أحد أفراده وأعيش فى هذه الأرض وأنعم بخيراته والا اعتبرت ايضا كافرا والعياذ بالله » .

ويرى الشيخ طه السماوى أن ما ذهب اليه هذا لم يكن فكرا جديدا وانما هو الراى القديم لجمهور العلماء المسلمين وكان قديما يطلق عليه «دار الكفر» أو «دار الحرب» والآن يقال «مجتمع جاهلى» . ويقول(٣٧) : « وليس كلامى بدعة أو فكرا جديدا كلا ، فقد اتفق جمهور الفقهاء على أن دار الكفر هى التى تعلوها أحكام الكفر ولو كان أكثر أهلها مسلمين . ودار الاسلام هى التى تعلوها أحكام الاسلام ولو كان أكثر أهلها كافرين . فالعبرة هنا بالراية المرفوعة والأحكام الجارية . واننى أعلم أن هذا يجز علينا عداء اذا لم أوضح للناس مقصودنا وشرحنا وتفسيرنا وايضا حنا حتى يقتنعوا به .

فاذا قدم الكلام مجملا وحرفه أعداؤنا فانهم بتحريضهم هذا ينفرون

(٣٦) وهو من أشهر قادة الجماعات الاسلامية فى مصر وهذا التصريح نقلا عن مجلة منار الاسلام التى تصدرها وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة . العدد السادس السنة الحادية عشرة جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ (فبراير ١٩٨٦ م) فى حوار أجراه أحمد محمد عبد الرحمن ص ٨٧
(٣٧) المصدر السابق ص ٨٧

الناس منا بل ويوهمونهم بأننا نقصد أفراد المجتمع بأعينهم . ولكن لو قدمنا لهم شرحنا وإيضاحنا بأمانة فسوف يقتنع الناس بما نقول وسوف يعلمون أن هذا ليس جديداً في دين الله وإنما هو قول جمهور فقهاء المسلمين ، لم نزد عليه قيد أنملة . لكننا عبرنا بالمصطلح الجديد مصطلح المجتمع وهم عبروا بالدار ، لكن العبرة بالمضمون والمعنى » .

ويرى الشيخ طه السماوي أن وصف مجتمع اليوم بأنه مجتمع غير مسلم يكون صريحا مع الناس وكشفا لمرض حقيقي للمجتمع ويقول (٣٨) : « فعندما نعنى ما عناه جمهور الفقهاء فنحن لا نخدع الناس لأننا عندما نقول لهم أن هذا المجتمع مسلم فسوف نوهمهم بأن واقعهم واقع إسلامي . وبهذا نخدر الناس ونخدعهم ونغشهم . لكننا عندما نصف الداء كما هو فإننا بذلك نكون أمناء وندعو إلى الأخذ بالدواء سريعا بجدية دون توان أو اهمال » قال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (٣٩) فهذه الآية صريحة في تكفير من لم يحكم بما أنزل الله . وبعض العلماء يجعلها فيمن يفضلون على حكم الله حكما آخر أو يستطون الحكم بغير ما أنزل الله (٤٠) وقال تعالى : « ان الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر » (٤١) . ان الآية نص صريح في الحكم بالردة على كل من أطاع الكافرين ونو في بعض الأمر » (٤٢) .

والخلاصة ان الحياة السياسية المعاصرة أصبحت تغلب على أمرها أنظمة كفر وجاهلية « حتى أصبح الحكم بغير ما أنزل الله هو السمة الأصلية في كل نظام حكم موجود في العالم الإسلامي تقريبا » (٤٣)

(٣٨) مجلة منار الإسلام - المصدر السابق ص ٨٧

(٣٩) المائدة : ٤٤

(٤٠) جند الله ثقافة وأخلاقا للأستاذ سعيد حوى ، دار الكتب

العلمية بيروت بدون تاريخ ص ٥ (٤١) محمد : ٢٥ ، ٢٦

(٤٢) جند الله ثقافة وأخلاقا ، للأستاذ سعيد حوى ص ٥ .

(٤٣) المصدر السابق ص ٦

فان طابع الردة هو الذى صبغ حياة العالم الاسلامى على اعتبار أن
اجهزة الحكم كلها - تقريبا - آلت الى يد مرتدين أو منافقين أو كافرين
أصليين (٤٤) . وعلى الرغم من أن بعض العلماء لا يحكمون على أغلب
المجتمعات التى يغلب على أمورها المرتدون والكافرون فى العالم الاسلامى
المعاصر بأنها مجتمعات كافرة ولكننا نستطيع أن نحكم على المجتمعات
فى أقطار العالم الاسلامى على أنها مجتمعات فاسقة وظالمة أو على حد
تعبير الأستاذ سعيد حوى « أقل ما نحكم به على هذه المجتمعات أنها
مجتمعات فاسقة تغلب على أمرها مرتدون أو فاسقون أو كافرون أو منافقون
يعمقون الفسوق ويسيروا بالمسلمين نحو الردة الشاملة » (٤٥) .

ونوافق ما جاء فى بيان المؤتمر الاسلامى العالمى ، دعوة ومنهاج لاقامة
النظام الاسلامى (٤٦) الذى انعقد بالخرطوم عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م)
والذى ينص على « أن من يعترض طريق اقامة المجتمع الاسلامى او يحول
دون تطبيق شرع الله فردا كان أو نظاما فانما يجرده نفسه من الانتماء

(٤٤) جند الله ثقافة وأخلاقا - المصدر السابق ص ٨ .

(٤٥) نفس المصدر ص ١١

(٤٦) ومن محتويات هذا البيان « انطلاقا من عبوديتنا لله الواحد
القهار .. نعهد الله تعالى على أن نعمل من أجل اقامة مجتمع الاسلام
على أرضه فى كل اقطار العالم الاسلامى . مجتمع الناس فيه جميعا
سواء امام شريعة الله تعالى ... ان المجتمع الاسلامى الذى نعمل على
اقامته يؤسس على أن الحكم كله لله وحده ، والسيادة جميعها لشرعته ...
والاعتصام بمبدأ وحدة الأمة ... وتقوم وحدة الأمة الاسلامية على
المبادئ التالية :

(١) دار الاسلام واحدة هى وطن مفتوح لكل مسلم .

(ب) كل ما هو قائم من حواجز مصطنعة أو حدود سياسية مناقض
لوحدة الأمة ولوحدة دار الاسلام . والعمل على ازالته أساس لاقامة
وحدة المسلمين .

(ج) الجهاد لتحرير كل شبر مغتصب من أرض الاسلام مسئولية
عامة ينهض بها المسلمون جميعا ، وهو أول واجب يفرضه الانتماء المشترك
لدار الاسلام ، والتقاعس عنه خيانة للأمة وانسلاخ من هذا الانتماء « .
انظر النص الكامل للبيان فى جريدة الراية ١٢ جمادى الآخرة
١٤٠٧ هـ الموافق (١٠ فبراير ١٩٨٧ م) .

للإسلام . وهو - بهذا الموقف - يسقط شرعيته بيده ويحق عليه قول الحق سبحانه وتعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الكافرون » (٤٧) .

- « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٤٨) .
- « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٤٩) .

(٤٨) المائة : ٤٥

(٤٧) المائة : ٤٤

(٤٩) المائة : ٤٧